7

وقت جلوس الحافظ فلما بلغني ذلك قلت لبعض اصحابنا هذه مكيدة والله ما ذلك بحبهم الناصح وانما يريدون ان
يحلوا بينا فاول ذلك ان الحافظ والناصح ارادا ان يختلفا في الوقت ثم اتفقا على ان يجلس الناصح بعد صلاة
الجمعة ثم يجلس الحافظ بعد العصر فلما كان بعض الايام والناصح قد فرغ من مجلسه وكان قد ذكر الامام احمد
رح في مجلسه فدسوا اليه رجلا ناقص العقل من بيت ابن عساكر فقال للناصح كلاما معناه انك تقول الكذب على المنبر
فضرب ذلك الرجل وهرب واختبى في الكلاسة فتمت لهم المكيدة بهذه الواقعة فمشوا الى الوالي وقالوا له
هولا الحنابلة ما قصدهم الا الفتنة وهم وهو واعتقادهم يخالف اعتقادنا ثم انهم جمعوا كبراءهم ومضوا الى
القلعة الى الوالي وقالوا نشتهي ان تحضر الحافظ عبد الغني وكان مشايخنا قد سمعوا بذلك فانحدروا الى دمشق خالي
الامام موفق الدين واخي الامام ابو العباس احمد البخاري وجماعة الفقها وقالوا نحن نناظرهم وقالوا للحافظ اقعد
انت لا تجي فانك حاد ونحن نكفيك فاتفق انهم ارسلوا الى الحافظ من القلعة وحده فاخذوه ولم يعلم اصحابنا بذلك
فناظروه وكانوا يغرون به فاحتد وكانوا قد كتبوا اشيا من اعتقادهم وكتبوا خطوطهم فيه وقالوا له اكتب بخطك
فلم يفعل فقالوا للوالي الفقها كلهم قد اتفقوا على شي وهو يخالفهم وكان الوالي لا يفهم شيا فاستاذنوه في رفع منبره
فارسلوا الاسرى فرفعوا ما في جامع دمشق من منبر وخزانة ودرابزين وقالوا نريد ان لا يجعل في الجامع الا صلاة
اصحاب الشافعي وكسروا منبر الحافظ ومنعوه من الجلوس ومنعوا اصحابنا من الصلاة في مقامهم في الجامع ففاتهم
صلاة الظهر ثم ان الناصح بن الحنبلي جمع السوقة وغيرهم وقالوا ان لم تخلونا نصلي باختيارهم صلينا بغير اختيارهم
فبلغ ذلك القاضي وهو كان صاحب الفتنة فاذن لهم بالصلاة وخاف ان يصلوا بغير اذنه وكان الحنفية قد حموا
مقصورتهم بالجند ثم ان الحافظ ضاق صدره ومضى الى بعلبك فاقام بها مدة يقرا الحديث وكان الملك العادل في
بلاد الشرق فقال اهل بعلبك للحافظ ان اشتهيت جينا معك الى دمشق نوذي من اذاك فقال لا ثم انه توجه الى
مصر ولم يعلم اصحابنا بسفره فبقي مدة بنابلس يقرا الحديث قال الضيا وهذا سمعته من اصحابنا وكنت انا في ذلك الوقت
بمصر اسمع الحديث قلت وقد ذكر بعض المخالفين هذه القصة على غير هذا الوجه فقال اجتمع الشافعية والحنفية
والمالكية عند المعظم عيسى والصارم برغش والي القلعة وكانا يجلسان بدار العدل للنظر في المظالم قال
وكان ما اشتهر من احضار اعتقاد الحنابلة وموافقة اولاد الفقيه نجم الدين الحنبلي الجماعة واصرار الفقيه
عبد الغني المقدسي على لزوم ما ظهر به من اعتقاده وهو الجهة والاستوا والحرف واجمع الفقها على الفتوى بكفره
وانه مبتدع لا يجوز ان يترك بين المسلمين ولا يحل لولي الامر ان يمكنه من المقام معهم وسال ان يمهل لانه ايام لينفصل
عن البلد فاجيب وذكر غيره انهم اخذوا عليه مواضع منها ولا انزهه تنزيها ينفي حقيقة النزول ومنها قوله
كان الله ولا مكان وليس هو اليوم على ما كان ومنها مسلة الحرف والصوت فقالوا له اذا لم يكن على ما قد كان
فقد اثبت له المكان واذا لم تنزهه تنزيها ينفي حقيقة النزول فقد اجريت عليه الانتقال واما الحرف والصوت
فانه لم يصح عن امامك الذي تنتمي اليه فيه شي وانما المنقول عنه انه كلام غير مخلوق وارتفعت الاصوات فقال
له صارم الدين كل هولا على ضلالة وانت على الحق قال نعم ثم ذكر منعهم من الصلاة بالجامع قال فخرج عبد الغني
الى بعلبك ثم سافر الى مصر فنزل عند الطحانين وصار يقرا الحديث فافتى فقها مصر باباحة دمه وكتب اهل
مصر الى الصفي بن شكر وزير العادل انه قد افسد عقايد الناس ويذكر التجسيم على رووس الاشهاد فكتب
الى والي مصر بنفيه الى المغرب فمات قبل وصول الكتاب فاما قولهم اجمع الفقها على الفتوى بكفره وانه مبتدع
فيالله العجب كيف يقع الاجماع واحفظ اهل وقته للسنة واعلمهم بها هو المخالف وما احسن ما قال ابو بكر
قاضي القضاة الشامي الشافعي لما عقد له مجلس ببغداد وناظره الغزالي واحتج عليه بان الاجماع ينعقد
على خلاف ما عملت به فقال الشامي اذا كنت انا الشيخ في هذا الوقت اخالفكم على ما تقولون فكيف ينعقد الاجماع
بك وباصحابك هذا مع مخالفة فقيه الاسلام محي وقته الذي يقال انه لم يدخل الشام بعد الاوزاعي افقه

منه

منه ومعه خلق من ايمة الفقها والمناظرين والمحدثين هذا في الشام خاصة ودع المخالفين لمولا المجتهدين
في ساير بلاد المسلمين بغداد ومصر وغيرهما من امصار المسلمين مع اجماع السلف المنعقد على موافقة هولا
المخالفين لهم ولم يكن في المخالفين للحافظ من له خبرة بالسنة والحديث والاثار ولقد عقد مرة لشيخ الاسلام
ابي العباس بن تيميه فتكلم فيه بعض اكابر المخالفين وكان خطيب الجامع فقال الشيخ شرف الدين عبد الله
اخو الشيخ كلامنا مع اهل السنة واما انت فانا اكتب لك احاديث من الصحيحين واحاديث من الموضوعات
واظنه قال وكلاما من سيرة عنتر فلا تميز بينهما او كما قال فسكت الرجل واما قولهم ان بني الحنبلي وافقوا
الجماعة فهذا اما ان يكون صحيحا او غير صحيح فان كان صحيحا فهو تقية ونفاق منهم والا فكلام بني نجم الدين
الحنبلي وكلام ابيهم في اثبات الصوت كثير موجود وسنذكر ان شا الله تعالى مما نقله الناصح ابن الحنبلي
خاصة في اثبات الصوت ما نذكره في مواضعه واما قوله ولا انزهه تنزيها ينفي حقيقة النزول فان
صح هذا عنه فهو حق وهو كقول القايل لا انزهه تنزيها ينفي حقيقة وجوده او حقيقة كلامه او حقيقة
علمه او سمعه وبصره ونحو ذلك واما المكان ففيه نزاع وتفصيل وفي الصحيحين اثبات لفظ المكان واما
الانتقال ففيه جوابان احدهما لا نسلم لزومه فان نزوله ليس كنزول المخلوقين ولهذا نقل عن جماعة من
الايمة انه ينزل ولا يخلو منه العرش والثاني ان هذا مبني على اثبات الافعال الاختيارية وقيامها بالذات
وفيها قولان لاهل الحديث المتاخرين من اصحابنا وغيرهم واما انكار اثبات الصوت عن الامام الذي
ينتمي اليه الحافظ فمن اعجب العجب فكلامه في اثبات الصوت كثير جدا قال عبد الله في كتاب السنة
والمقصود ها هنا الاشارة الى ما وقع في حق الحافظ من التحامل عليه والتعصب وقرات بخط الحافظ الذهبي
ردا على من نقل الاجماع على تكفيره اما قوله اجمعوا فما اجمعوا بل افتى بذلك بعض ايمة الاشارة ممن كفره وكم
هو ولم يدر الرجل ان اكثر ما يقوله خلق من العلما الحنابلة والمحدثين من ان الصفات الثابتة محمولة على
الحقيقة لا على المجاز اعني انها تجري على مواردها لا نعبر عنها بعبارات اخر كما فعلته المعتزلة او المتاخرون من
الاشعرية هذا مع ان صفات الباري لا يماثلها شي قال الحافظ الضيا وحكى لي بعض اهل دمشق بفتاوى من اهلها
الى صاحب مصر وهو العزيز عثمان ومعه كتب ان الحنابلة يقولون كذا وكذا مما يشنعون به ويفترون عليهم
وكان ذلك الوقت قد خرج نحو الاسكندرية يتفرج فقال اذا رجعنا من هذه السفرة اخرجنا من بلادنا من
يقول هذه المقالة فلم يرجع الا ميتا فانه عدا به الفرس خلف صيد فشب به الفرس وسقط عليه فخنق
كذلك حدثني شيخنا يوسف بن الطفيل وهو الذي تولى غسله واقاموا ولده موضعه وارسلوا الى الافضل بن
صلاح الدين وكان بصرخد فجا واخذ مصر وذهب الى دمشق فلقي الحافظ عبد الغني في الطريق فاكرمه اكراما
كثيرا وبعث يوصي به بمصر فلما وصل الحافظ الى مصر تلقي بالبشر والاكرام واقام بها يسمع الحديث بمواضع منها
وبالقاهرة وقد كان بمصر كثير من المخالفين لكن كانت رايحة السلطان تمنعهم من اذى الحافظ لو ارادوه
ثم جا الملك العادل واخذ مصر واكثر المخالفون عنده على الحافظ وسمعت ان بعضهم بذل في قتل الحافظ
خمسة الاف دينار وقال قرات بخط الحافظ كتبه الى دمشق والملك العادل اجتمعت به وما رايت منه الا الجميل
فاقبل علي واكرمني وقام لي والتزمني ودعوت له ثم قلت له عندنا قصور هو الذي يوجب التقصير فقال ما
عندك لا تقصير ولا قصور وذكر امر السنة فقال ما عندك شي تعاب به لا في امر الدين ولا الدنيا ولا بد للناس من حاسدين
وقد تقدم ذكر هيبة العادل له واحترامه وتعجب الناس من ذلك قال ثم سافر العادل الى دمشق وبقي الحافظ
بمصر والمخالفون لا يتركون الكلام فيه فلما اكثروا عزم الملك الكامل على اخراجه من مصر واعتقل في دار سبع
ليال فقال ما وجدت راحة في مصر مثل تلك الليالي وقال سمعت ابا العباس احمد بن محمد بن عبد الغني يقول حدثني
الشجاع بن ابي زكريا الامير قال قال لي الملك الكامل يوما ها هنا رجل فقيه قالوا انه كافر قلت لا اعرفه قال

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)